تكتب عليهم اي لم يومروا بها كما قال تعالى ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها
عليهم الا ابتغاء رضوان الله وهو منقطع اي لكن فعلوها ابتغاء الخ
وقد قال صلى الله عليه وسلم لا خزم ولا زمام ولا سياحة ولا تبتل
ولا ترهب في الاسلام رواه عبد الرزاق وقال صلى الله عليه وسلم
عليكم بالجهاد فانه رهبانية الاسلام رواه احمد وقال عليه
الصلاة والسلام تزوجوا فاني مكاثر بكم الامم ولا تكونوا كرهبانية
النصارى رواه البيهقي واما نبينا صلى الله عليه وسلم
فكان مظهر بفتح الميم محل ظهور الكمال الجامع لتلك القوة
والعدل والشدة في الله واللين والرافة والرحمة فشريعته
اكمل الشرائع وامته اكمل الامم واحوالهم ومقاماتهم اكمل الاحوال
ولذلك المذكور من كونه مظهر الخ ياتي بمعنى انت شريعته بالعدل
اي الحكم المشتمل عليه وهو القصد اي التوسط في الامور ثم تنوع
ذلك الحكم الى واجب وغيره كما قال ايجابا له اي للعدل بمعنى الحكم
كما علم وفرضا منا و وبالفضل ندبا اليه واستحبابا لا فرضا
وايجابا كالعفو عن الجاني وبالشدة في موضع الشدة كقتال الكفار
ونحوهم وباللين في موضع اللين كالعفو عن الاسارى ووضع
السيف موضعه ووضع الندا اي الخير موضعه اي المحل
اللائق به شرعا فذكر الظلم وتحريمه والعدل والامر به والفضل
والندب اي يدعوا اليه في بعض اية كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة
مثلها سميت الثانية بذلك لمشابهتها للاولى صورة وان كانت
عدلا لوقوعها جزاء والسيئة هي الفعلة القبيحة قال الجلال وهذا
ظاهر فيما يقتص منه من الجراحات قال بعضهم واذا قال له اخزاك
الله فيقول له اخزاك الله فهذا عدل ولذا قال صلى الله عليه وسلم
لهبار بن الاسود سب من سبك لما كانوا يسبونه بعد اسلامه بما
كان فعله فكفوا عنه فمن عفى عن ظالمه واصلح الود بينه وبينه
بالعفو عنه فاجره على الله اي ان الله ياجره لا محالة فهذا فضل
وقد قال صلى الله عليه وسلم من عفا عند القدرة عفى الله عنه
يوم العسرة رواه الطبراني وقال من عفي عن دم لم يكن له ثواب
الا الجنة رواه الخطيب وقال عليه السلام من عفى عن قاتله دخل
الجنة رواه ابن منده اي مع السابقين اولا بسبق عذاب او هو اعلام
بوفاته على الاسلام والامن من سوء الخاتمة انه لا يحب الظالمين
اي البادين بالظلم فيترتب عليهم عقابهم فهذا تحريم الظلم
وفي الحديث القدسي يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي
وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا وقوله وان عاقبتم فعاقبوا
بمثل ما عوقبتم به هذا ايجاب العدل وتحريم الظلم وهو العقاب

بغير

٩١

بغير مثل ما عوقبوا به ولئن صبرتم عن العقاب لهو اي الصبر
خير للصابرين ندب الى الفضل دون ايجابه فترتاح النفوس
بذكره وتسمح به وكذلك تحريمه ما حرم على هذه الامة لا صيانة
وحمية لهم عما يضرهم كالميتة والدم المسفوح حرم عليهم
كل خبيث كما قال ويحرم عليهم الخبائث وضار كالخنزير واحل لهم كل
طيب اي مستلذ لا ضرر فيه كما قال اليوم احل لكم الطيبات ونافع للبدن
والعقل فتحريم عليهم رحمة وعلى من كان قبلهم لم يخل من عقوبة كما
اشرت اليه قريبا في قوله وقد كان بنو اسرائيل اذا نسوا شيئا مما امروا
به او اخطئوا واعجلت لهم العقوبة تحرم عليهم شيء من مطعم او مشرب
وهداهم لما ضلت عنه الامم قبلهم كيوم الجمعة كما ذكره
ان شاء الله تعالى في مقصد عبادته عليه السلام وتقدم ما يظهر
له قريبا ووهب لهم من علمه وحلمه كمالات كثيرة لم تحصل لغيرهم
وجعلهم خير امة اخرجت للناس وكمل لهم من المحاسن ما فرقه
في الكتب في الامم فجمعوا محاسن كل امة كما كمل لنبيهم من
المحاسن ما فرقه في الانبياء قبله وزاده عليهم وكما كمل في كتابه
من المحاسن ما فرقه في الكتب قبله وكذلك في شريعته فهؤلاء
الامة هم المجتبون اي الذين اختارهم الله لدينه ولنصرة
كما قال الههم جل وعلا هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين
من حرج اي ضيق وجعلهم شهداء على الناس فاقامهم
في ذلك مقام الرسل الشاهدين على اممهم اشار اليه ابن القيم
وذكر ابن عبد السلام انهم نزلوا منزلة العدول من الحكام فيشهدون
على الناس ان رسلهم بلغتهم ما جاء وابه عن الله قال تعالى
لتكونوا شهداء على الناس قال وهذه خصيصة لم تثبت لغيرهم
ومنها انهم لا يجتمعون على ضلالة اي محرم باعتقاد خلاف الواقع
فيه بان يحكم كلهم اعتقد فيه خلاف ما هو عليه في نفس الامر فلا
يجتمعون على نفي مكروه ولا ندب مندوب ولا اباحة مباح بل متى
اجتمعوا على حكم كان عند الله كذلك كما افاده كلام ابن الشيخ ولي الدين
ولا بد ولكن قيد والامة هنا بالعلماء لان العامة عنها تاخذ دينها
واليها تفزع في النوائب فاقتضت الحكمة حفظها رواه احمد في مسنده
والطبراني سليمان بن احمد بن ايوب في معجمه الكبير وابن ابي
خيثمة احمد بن زهير بن حرب البغدادي في تاريخه وهو كبير قال
فيه محمد بن سلام الجمحي لا اعرف اغزر من فوائده عن ابي بصرة بفتح
الموحدة واسكان الصاد المهملة واسمه حميل بضم الحاء المهملة ولام
اخره وقيل بفتح اوله وقيل بالجيم ابن بصرة بفتح الموحدة ابن وقاص
ابن حبيب بن غفار وقيل ابن حاجب بن غفار الغفاري روى

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)